DOI:10.18018/URUK/020-13/1493-1512 ISSN : 2072-6317(P) - 2572-5440(O)

جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الانسانية
مجلة اوروك للعلوم الانسانية
موقع المجلة : www.muthuruk.com

BM-Publisher

النجوم والكواكب في شعر شعراء الطبقتين الثالثة والرابعة من الجاهليين قراءة في فينومينولوجيا الظواهر

حسن سعد لطيف*
رائد عليوي شايع
جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الانسانية

معلومات المقالة

تاريخ المقالة:
الاستلام: 2020/5/17
تاريخ التعديل : 2020/8/9
قبول النشر: 2020 /8/16
متوفر على النت:2020/12/14

الكلمات المفتاحية :
النجوم
الكواكب
فينومينولوجيا الظواهر

الملخص

نتيجة لتفاوت وعي الشعراء في نظرتهم للظواهر الوجودية ، وتفاوت تلك الظواهر في تمثلها داخل الوعي الإنساني ، فإن منها ما يشكل موضوعات تستفز الذات وتكون مدعاة لتوثيها للبحث عن ماهيتها ومدى انعكاسها على منظومة الوعي لديه ، وقد شكلت ظواهر الشمس والقمر والنجوم في شعر شعراء الطبقتين الثالثة والرابعة من الجاهليين – حسب تصنيف ابن سلام - لوحات فنية تباينت بحسب تباين رؤية كل شاعر تجاهها ، وقد ارتبطت بالشعور الذي يمثل انعكاس الذات على الحياة ، في نظرة تأويلية تبنتها الفلسفة الفينومينولوجية ، فلم يكتف الشعراء بالحديث عن هذه الظواهر من الخارج فحسب بل حاولوا الإحاطة بكل متعلقاتها ، وما يرتبط بها من إحساسات تستنفر الذات إلى طرق أبواب الشعر ، فجاءت هذه الدراسة لقراءة ما يمكن أن يتجلى في صحيفة الوعي الإنساني لدى هؤلاء الشعراء .

© جميع الحقوق محفوظة لدى جامعة المثنى 2020

المقدمة

إن ماهية الشعر تتجلى من خلال تلك الروح التي تشع وتسطع في الصورة الشعرية ، ومن خلال هذه الصورة تتجسد الروح وتصبح مرئية ، والروح بدورها تجدد مشاعرنا ، وهذه الصورة الشعرية ليست محاكاة للواقع أو صورة باهتة من الموضوع الطبيعي ، إنما هي جديدة تعيد بجدتها إبداع الموضوعات الطبيعية ، وتكشف لنا الروح الباطنية الكامنة بداخل تلك الموضوعات ، ومهمة الوعي أن يتجه إلى هذه الصورة الشعرية قاصدا فهم ماهيتها حينما يكون في حضرتها ، ومشاركا في عالمها ومنصتا لما تقوله ، فتؤسس الصورة الشعرية نفسها في وعينا وتتجذر بداخلنا ، فهي أصل الوعي ولغة الأدب بوصفها لغة قصدية تشير دائما إلى معنى ، أو توجهنا نحو شيء ما في العالم أو الوجود الذي تعينه من خلال الكلمات ، فالمعنى لا يتجه خارج صوتيات اللغة ليعين وجودا ما ، لأن اللغة تجلب الخارج إلى الداخل ، وهذا ما يتحقق في أسمى صورة في لغة الشعر التي تجلب الوجود إلى بيت اللغة ، فاللغة هي مسكن الوجود [1] .

ويمكن أن تكون القصيدة عميقة ويمكن أن تكون ضحلة ، عفوية أو كثيرة الرؤى ، كثيرة التبصر والإدراك

*الناشر الرئيسي : E-mail : hassan@gmail. Com

أو ملتزمة باتجاه ثابت مسبق بحسب الوعي الذي تنطلق منه ، كما أنها تملك القدرة على بقائنا متعلقين بشيء نحن ممنوعون من رؤيته ، هذا ما يوجد في الشعر دائما ، ما لا يمكن الإمساك به ، ولا يمكن وصفه ، فهو حي في اهتمامنا المتحمس به ونظرياتنا النقدية له ، وفيه ما لا يمكن الحديث عنه ، إذ هو ربما نواة بين القصيدة والعالم [2] ، لذلك تتجلى في نماذج من الشعر الجاهلي صورة الوجود بمعطياته الكونية ، كما يتجلى أثر الظواهر الوجودية على الذات الإنسانية من خلال إدراكها لها ، فيكون الوعي المتجه إلى تلك الظواهر عاملا حاسما في فهم كينونتها .

وترتبط تجربة الشعر بمساءلة الوجود والطبيعة الكونية والإنسانية في تشكلاتها المختلفة ، وهذه المساءلة حول معنى الوجود تتخذ طابعا تأويليا حين يكون المعنى مخفيا بطبقة من الكثافة والتعتيم ، ولذلك ترتبط التأويلية هنا بالفينومينولوجيا لأنها تلجأ إلى اتخاذ موقع لها من الموضوع في تجربة الانتماء الصميمة للعالم والتاريخ ، فتحيل إلى الفينومينولوجيا بما أن كل وعي بالمعنى معرض للواقع المباشر الذي يمكّن من ترميزه والدلالة عليه ، فيكون العود المباشر للأنا التي تتوسط الرموز والعلامات والنصوص ، وهذا العود يلتقي بالفينومينولوجيا بما أنه يهدف إلى الكشف عن معنى الوجود ، كما يعني أن التأويل يختلط بالفينومينولوجيا والأنطولوجيا في طريقة منهجية في التعامل مع البنى الدالة ، وهكذا يتضح لنا أن مسبقات التأويل فينومينولوجية تمتزج بأنطولوجيا الفهم [3] ، لذلك لابد من قراءة الذات الشاعرة من خلال وعيها بالظاهرة المتجهة إليها ، فتكون تلك الظواهر وسيلة لمعرفة الذات في لحظة الإدراك تلك .

وتعد التجربة المباشرة في العالم المعيش – قبل حضورها شعرا - التقاء مباشرا بين المدرِك والمدرَك في تجربة واحدة شاملة للاختلافات والتنوعات التي توجد في الذات الإنسانية وتوجد أيضا في العالم الخارجي ، وترتكز على عنصر هام هو الوجدان أو الشعور ، وهو يمثل الحالة الكلية التي تجتمع فيها التنوعات المختلفة للظواهر في العالم ، وهذه التجربة المباشرة ليست علائقية ، أي ليست قائمة على وجود علاقة بين الذات والموضوع ، وإنما نحن نفترض وجود هذه العلاقة التي تعد سمة داخلة في الصور الأولية للحياة العقلية [4] ، فالذات في التحليل الفينومينولوجي هي قطب الرحى والموضوع جزء منها ، فلا وجود لموضوع دون ذات تقصده وتجعله ضمن دائرة وعيها القصدية .

وبسبب هذه العلاقة المتينة التي تربط الشعراء بالتأمل والتواصل مع الأشياء لذلك يقال عنهم أنهم فينومينولوجيون بالفطرة ، فهم يتجاوزون معطيات الإدراك ليتوحدوا مع الإشراق المبهر للأشياء ، لذا نجدنا نعيش مع الأشعار التي نقرؤها تجربة الانبثاق المنعشة ، فالفينومينولوجيا تستغني عن كل شيء لأجل الاحتفاظ بنكهة التأمل والخيال ومداعبة الحس عن طريق الحدس بعد الانتقال إلى عالم الشعور في لحظات يقظة تختلط بغيبوبة مشاعره ، مستفزة لموقع الإنسان من الكون ومن الزمن المستمر ، أو أنها تجلي الشعور الإنساني من استفزاز لفطرته وخطواته الأولى البريئة الممتنعة عن الاصطدام بعالم الظواهر المقهور بالعلم والتجارب ، فيبقى ذلك الشعور الإنساني هو الرغبة التي يخلقها أثر الظاهرة الممكنة التحليل بالعلم في الذات الشاعرة التي لا تجتاحها الاستدلالات المنطقية ، فتبقى بكرا ، لذيذة بغرابتها وجهلنا بها [5] .

وقد شكلت الظواهر الكونية جزءا من تأملات الشاعر الجاهلي من خلال تلك النظرة الوجودية التي يحملها الشاعر للشمس والقمر وغيرهما من النجوم والكواكب ، وما يرتبط بهما من متعلقات وما تحملهما من آثار على الذات الشاعرة ، وتحظى هذه التجربة الشعرية بإمكانات هائلة للغة الشعرية التي تختزل الوجود في آفاق لا محدودة للمعنى الشعري الكامن فيها ، الممتزج بوعي الذات في لحظة توجهها إلى رسم معالم الصورة الشعرية التي تعبر عن طبيعة هذه الذات في تفاعلها مع الوجود في عالمها المعيش ، ويتحقق من خلال خصوصيتها وتفردها

DOI:10.18018/URUK/020-13/1493-1512

في الوجود الإنساني الأصيل ، وهي تجربة تحتاج إلى ممارسة تأويلية مهمتها الكشف عن كوامن المعنى في هذه التجربة ، وما ينطوي فيها من مساءلة الوجود على وفق تلك النزعة الفينومينولوجية التي تمتزج بأنطولوجيا الفهم التي أسس لها هوسرل وهيدغر ومن سار على نهجهما ، ويمكن أن نجمل تلك الظواهر في شعر شعراء الطبقتين الثالثة والرابعة بما يأتي :

أولا : الشمس

لعل الشمس من أكبر النجوم أو أقربها إلى الأرض ، وقد انتظر الشعراء الشمس بشغفٍ بعد ليل طويل ألهبَ قرائحهم وأشعل أفئدتهم ، فوجدوا فيها مهرباً من عنائهم ، وتذكروا بشروقها البهيج طلة الحبيبة ودفئها ، فاستبشروا بها وغمرتهم بتوهج أشعتها فأضاءت حياتهم ، وهزمت ظلام التشاؤم في وجدانهم ، وانشرحت لمنظرها صدورهم وهي ضاحكة مستبشرة ؛ فيستعد الوجود لتحيتها ، وما بين شروقها البهيج وغروبها الحزين تتوقد المشاعر فتجود بمقطوعات حفظها الزمان وحفرت حضورها في ذاكرة النسيان ، فيكون الشفق إيذانا بالقلق والرجوع إلى دوامة الهموم والاحزان ، إذ ((يتسلل الرجل إلى كهفه عند غروب الشمس يرتجف من الخوف ... مع أنه من الحماقة اننا نفقد الشمس))[6] ، فيكون التفريط فيها سفها ، فكل الأمكنة لن تستطيع أن تعوض الشعور بالأمان دون وجودها ، فتخيم الوحشة على من يفقدها ، وذلك أن ((الإنسان الذي يقف أمام الطبيعة ناظراً إلى موادها ، ومتتبعا نظامها إما أن ينفعل بها ويتفاعل معها فتثير في نفسه عواطف يحاول التعبير عنها ، وهذا موقف فني وإما أن يقبل عناصرها مجردا نفسه من هذا الشعور الشخصي))[7] ، وتعد الشمس من أبرز الظواهر الوجودية التي توقف عندها الإنسان وحاول أن يفسر حضورها وأهميتها ، حتى وقع في حَيرَة عبادتِها كما حكاه القرآن الكريم عن العرب الجنوبيين في مملكة سبأ (**وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله**)[8] .

أما شبه الجزيرة العربية بيئة أغلب شعراء الطبقتين الثالثة والرابعة فكانوا يعبدون الإله " بعل " الذي يُعرَف عند هذه البيئات بإله الشمس ، وتسمت به بعض القبائل كعبد شمس وأمرئ الشمس وعبد السارق وعبد المحرق ، وتشخصت الشمس بصنم ، وبنوا لها الهياكل [9] ، في حين يرى ابن منظور في لسان العرب أن ((سبب تسمية زوج المرأة بعلا لأنه سيدها ومالكها)) [10] ، فهذا الإفراط بالتعلق دفع الأولين منهم إلى عبادة هذه الظواهر التي عدها صادمة لمنظومة الوعي التي تتحكم به ، وحينما وجدوا أنفسهم عاجزين عن التعرف على كينونتها اندفعوا باتجاه تأليهها ، ونسجوا حولها أساطير تؤطر هذا التأليه وتبرره ، فعلى الرغم من تعدد هذه الظواهر وتنوعها ظلت الشمس صاحبة الحظ الأوفر من هذا التأليه ، وكانت المؤلهات عند الساميين تتألف من جسد وروح ، ((فظاهر الشمس جسدها والروح أو البعل في داخلها فهي شمس وإله معاً))[11] ، واستمر شعور الاعتزاز بهذه الظاهرة عند الشعراء إلى العصر الحديث متمثلاً بجماعة " أبولو" الشعرية ، متخذين من إله الشمس الإله الملهم للنبوءات عند اليونان[12] رمزاً لفيض مشاعرهم ، وورد ذكرها عند بعض شعراء الطبقتين الثالثة والرابعة ومنهم أبي ذؤيب الهذلي إذ يقول [13] :

يقولون لي لو كان بالرمل لم يمت
نُشيبة والطراقُ يكذب قيلها
ولو أنني استودعته الشمس لارتقت
إليه المنايا عينها ورسولها
وكنت كعظم العاجمات
اكتنفته
بأطرافها حتى استدق نحولها

فلازالت صورة الصراع الوجودي هي الملمح الأبرز في بنية النصوص الجاهلية ، لاسيما عند أبي ذؤيب إذ يتوجه الوعي القصدي إلى بؤرة مركزة تختزل النص وتحيل المتلقي إلى إدراك مختلف عن الإدراك التقليدي ، لتحصل حالة من الاندماج بين الذات والموضوع ، فتتحقق القصدية من خلال الانفعال ثم التفاعل

DOI:10.18018/URUK/020-13/1493-1512

فالفعالية ، فلم يكن حضور " الشمس " في النص لكونها ظاهرة تمتلك حضورا جمالياً يزين النص ويعطيه اشراقاً حسياً ، بل يدل على هيمنة هذه الظاهرة في وعي الشاعر لتناسب السياق الكاشف عن شعور عارم باللجوء إلى البعد الأسطوري " للشمس " ، فالصورة بحسب باشلار ((هي شاغل أخلاقي أو بعبارة أخرى إنها مادة مطهرة ، مطهرة للإنسان من ابتذال الحياة العامة وهي كذلك درس للأخلاق))[14] ، مع عدم إغفال البعد التطهيري للشعر بشكل عام من وجهة نظر الفلسفة ، كما أن الشاعر لم يشأ أن يعمم تجربته الفردية الخاصة لمعرفته بأنها لا تكون صالحة للتعميم ، بل كانت غايته الشعور الكلي الخالص بأن الفرد أينما يكون سيدركه الموت ولوكان في " الشمس " البعيدة الحصينة ، لذا ((فإن الأشياء الخارجية القائمة في العالم الطبيعي لا يكون لها معنى صحيح ولاوجود حقيقي إلا إذا قصدت الشعور وأدمجت فيه ، لأنها بطبيعتها موجودة لأجل أن ندركها))[15] ، فيؤثر كل منهما بالأخر ، أي القصد والموضوع الخارجي للخروج بحقيقة يقينية وهي حتمية الفناء ، ولا تنفع في هذا الاتجاه كل محاولات الهرب أو اللجوء إلى قوى الطبيعة ، كما أن النص كشف عن رؤية سابقة لزمان النص قد تشكل ظاهرة بحد ذاتها ، وهي رؤية الشاعر بعدم الإيمان بالمنجمين ، والخضوع لما يقولون ، وترك التفاعل المطلق معهم ، كون هذه الأقاويل تمثل الكذب أو على أقل تقدير الضعف ، فـ " الطراق يكثر قيلها " ، هذه المقطوعة تمثل الحسرة على عدم قدرة الشاعر على إنقاذ " نُشيبة " ، ولو أنه كان يستطيع الذهاب إلى " الشمس " لحمايته من الموت لفعل ، ولكنه كان مدركاً عدم جدوى هذه المحاولة ، فهذا التحسر والندم المشوب بالحزن يذكرنا بحسرة جلجامش عندما عجز في بداية فجر التاريخ البشري أن يمنح الخلود لصديقه انكيدو[16] ، أما علقمة الفحل فله رؤية أخرى لهذه الظاهرة [17] :

يأوي الى خُرق زُعْرٍ قوادمها
كأنهن اذا برَكن جرثومُ
وضاعة كعصي الشرع جؤجؤه
كأنه بتناهي الروض علجومُ
حتى تلافى وقرن الشمس مرتفعٌ
أُدحيَ عرسين فيه البيض مركومُ
يوحي اليها بأنقاض ونقنقة
كما تراطن في افدانها الرومُ

إن استدعاء الشاعر الجاهلي للطبيعة وظواهرها وتأليف مادته الشعرية منها يعكس عمق العلاقة بينهما ، فيتحول وجدانه إلى ذاكرة تختزل في طياتها كل ما يحتاجه لتركيب صورته الشعرية ، ((فالشاعر من غير أن يعي كل الوعي يمتزج عالمه الظاهري وعالمه الباطني في لحظة شعورية وأخرى لاشعورية ، لأن هناك مناحي مترسبة في أعماق الوجدان يستطيع الشاعر الفنان أن يجعلها تبرز مخترقة ستار الوعي))[18] ، فنلحظ علقمة مهتما بهذه العودة السريعة القلقة المحملة بشحنات الحب والحرص من لدن الظليم على صغاره ، فيغدو صدره وكأنه العود ، فـ " يأوي " إليهم بتلهف الحنان الأبوي ، وما يحمل هذا الفعل " يأوي " من دلالات الإيواء ، كإيواء المرء إلى بيته ، وكذلك الاحتماء والرقة والرحمة والالتجاء[19] ، وبهذه الصورة المثقلة بهذا الاختزال العاطفي ، فـ ((ذكر النعام من أكثر الآباء بين الحيوان تفانياً في خدمة صغاره والسهر على أمنهم وراحتهم))[20] ، وبهذا التذكر المُوحي بالخطر تأتي صورة ذكر النعام بهذا التلهف فيسكب على وجدان المتلقي سيلاً من مشاعر الإعجاب والإكبار لهذا الموقف الحاني الممتزج بالحذر فالشعور " بحدس اللحظة " تشتبك فيه كل صور المأساة ، ((ولعل الخاصية المأساوية للحظة هي التي تمكننا من أن نكشف مسبقا واقعها))[21] .

إن الشاعر كان يتحدث عن نفسه بقناع " الظليم " بوصفه رمزا للمسؤولية الأسرية كما استعمل الناقة رمزا للحبيبة تارة ولأغراض غيرها تارة أخرى ، أو أنه يرى فيه رمزاً لشخصية أخرى تختزل في سلوكها هذه الصفات ، مما يعني تلويحه بتمجيد كل من يحملها ، وما أعجابه بهذا الكائن إلا لأنه صار مثلا يضرب لمن يحمل هذه

DOI:10.18018/URUK/020-13/1493-1512

الصفات التي تعد انعكاساً لسلوكه على السلوك البشري وتأثيره،، ويعتقد سيد نوفل أن ((هذا اللون من الوصف للظليم يعد فريدا في هذا الدور ، وريحهِ تهب في الواقع في ميدان عقلي فسيح ومعنى الإنسانية فيه أظهر لايبدو من وراء الحجب ، وإنما يبدو متجردا صريحا ، وصفة القص فيه أقوى وأتم))[22] ، فكانت لغة التخاطب بين " الظليم وأنثاه " مشفرة كلغة العشاق ، ثم جاءت صورة قرن الشمس ليتوج كل هذه الصور بهالتها المشرقة ، فتخيم بأشعتها النافذة والمحملة بكل الطاقات الإيجابية لتدل على الاشراق والتجلي الأبهى ، فيتناسب حضورها مع حالة الدفء المهيمنة على المشهد من أول لحظاته ، وعندما يصل إلى مكان البيض يهدأ القلق برؤية عرسه ، ويحاورها بذلك الحوار الخاص ، فيتحجم بذلك قلقه وارتباكه ، فحالة اللقاء تشكل مشهداً موازياً في وجدان الشاعر وهو يستعيد لذة لقائه هو بحبيبته ، فتكون الشمس راعية لهذا المشهد ، أما لبيد بن ربيعة فجاء استعماله لمفردة الشمس في سياق المدح [23] :

ويوم هَوَادِي أمرهُ لشمالهِ
يُهتّك أخْطَالَ الطرافِ المطنبِ
يُنيخُ المخاض البرك والشمس حيةٌ
اذا ذكيت نيرانها لم تلهبِ
ذَعرْتُ قِلاصَ الثلج تحت ظلالهِ
بمثنى الايادي والمنيح المُعقَبِ

لعل انتقال الصور من وجوداتها الخارجية إلى الذات يعتمد على حجم التفاعل بينها وبين تلك الصور ، وكذلك على القدرة الفنية في إمكانية تطويعها ؛ لتشترك مع الشاعر في ايصال رسائله ، ولم تكن عين الشاعر هنا فوتوغرافية تقريرية فحسب ، بل كانت وعاء يمر من خلاله وعيه بالموضوعات ومقاصدها ، فيكون لكل جزء في لوحته دلالة مؤثرة لا يمكن الاستغناء عنها ، حين جمع الشاعر بين المحسوس الطبيعي المادي متمثلاً بالشمس والإبل وبين اللا محسوس النفسي أو الروحي المتمثل بالكرم ، ففي اليوم البارد الذي يضطر المخاض الإبل للبروك وتهز الرياح البيوت هزاً عنيفاً ، ويبحث الناس عن مأوى ؛ في ظل هذه القسوة الكونية تبرز فضيلة اللا محسوس بسبب قسوة المحسوس ؛ فكان الثاني مقدمة لوجود الأول ، ف((من البديهي ألا توجد قيم إنشائية ما قبلية ، لكن توجد قيم تُرى لاحقاً في انسجام اللوحة ، وفي الروابط التي توجد بين الخلق والنتيجة))[24] ، فاستمر الجاهلي في تقديس هذه القيم لا لأنها جزء من واقعه الأخلاقي فقط ، بل لأنها وسيلة من وسائل البقاء في ظل الصراع الوجودي ، ((فالشعور المشترك عند العرب في جزيرتهم بضعفهم وعجزهم تجاه طبيعة بلادهم القاسية وقفارهم العنيدة ، أنشأ فيهم الإحساس بحاجة ماسة مقدسة إلى الضيافة))[25] .

أما إبراز الشاعر للشمس في هذه اللوحة المزدحمة في تمثلها لأكبر ظهور كوني فكان وصفها " والشمس حية " بإضافة صفة " الحياة " لها المتجلي بحضورها البرّاق ، في تلك اللحظة العسيرة التي اختارها الشاعر ، ولم تكن لحظة إعلان لوجودها في شعره فحسب لها بل لكي يُشعِر المتلقي أنها تشترك معه في توفير مقومات السخاء الوجودي في لحظة الاحتياج المعقدة تلك ، في حالة توحد وجودي بينه وبينها من ناحية العطاء والصفاء ، وإذا أخذنا بنظر الاعتبار أن الشراح رأوا في عبارة " والشمس حية " تعني " والشمس بيضاء " فتكون دلالة اللون عنصراً جديدا في عملية التأويل الذي - وإن كان المعنى الظاهري منه صفاء الجو وقسوة البرد - يبقى المجال مفتوحاً لاحتمال أن المعنى المُراد هو إشارة نسقية تُضْمِر بياض الخُلق الذي يتحلى به الشاعر ، كأنه " الشمس الحية " حينما تأتي صورة تحدي هذه الظروف القاسية التي أفرزتها تلك الظواهر الكونية بفعل معاكس ومغاير لفعلها ؛ فتحالف بعضها مع بعضها الآخر لاختبار قوته وشهامته استفز عنده حالة المجابهة لكل هذه الظواهر المتربصة في نوع من أنواع الاحتجاج العملي ، أو أن هذا الوصف للشمس يأتي ضمن التعريض بها والزهو بما يقدمه لأضيافه ، وأنه سيكون بدفئه وحنوه عليهم ما يعوضهم عنها ، فينحر " قلاص الثلج " لهم فيجتمع الدفء والشبع لوجود مناسبة بين الجوع والبرد ، أما

DOI:10.18018/URUK/020-13/1493-1512

الشاعر طَرفة بن العبد فجاء ذكر الشمس لديه في سياق الغزل [26] :

وتَبسُم عن ألمى كأن منورا
تخلل حُر الرمل دِعصٌ له ندِ
سقته اياة الشمس الا لثاته
أُسِفّ ولم تكدم عليه بأثمدِ
ووجه كأن الشمس حلت رداءها
عليه نقي اللون لم يتخددِ

لم يقتصر الحب على العواطف المجردة بل هو لحظة تواصل بين المادي والمعنوي ، وسمو للذات في عالم الجمال الحسي والأخلاقي ، وفي دائرة التحليل القصدي ((الذي يجعلنا نفهم بعمق أكبر الكيفية التي تتم بها عملية تكوين المعاني للموضوعات المدركة في نطاق الشعور ، والتي تقوم في أساسها الجوهري على حدس الماهيات الأصلية للأشياء ذاتها كما تظهر في الشعور القصدي الحي))[27] ، فقرن الشاعر بين حضور الحبيبة والربيع بوصفهما موضوعات مدركة ، وبين جفائها وجفاف الحياة التي هي جزء من حدس الماهيات ، فتتداخل الحركة بالسكون والسكون بالحركة في حوار مكشوف بين الذات والموضوع ، فبابتسامتها تصارع القيود لتتحرر منها كصراع الأقحوانة لكثبان الرمل ، فتخرج من بين ذراته شامخة بيضاء مشرقة ، يشابه خروج الشمس بعد أن تشق الدجى وتخرج بكل هيبتها وبهائها ، في إشارة لتحدي حبيبته للقيود المفروضة عليها وجودياً ، وطلتها وهي باسمة على الرغم من كل المعوقات ، كما لم يقتصر التفاعل مع الصورة بالبصر فحسب ، بل كان للعطر حضوراً ملأ المكان بعبقه بوصفه من لوازم الأقحوانة الذي لا ينفك وجوده عن وجودها ، فتشترك المدركات الحسية في خلق جو من الانسجام الوجداني يزيدها جمالاً وجلالاً ، كما نلمح ما لأشعة الشمس وبياضها والابتسامة وبياضها من تناغم صوري انطبع في مخيال الشاعر فشمخ ببصره عالياً في لحظة تأمل هادئة ، فيرتد طَرفُهُ للأرض وهو يرى هذا الترابط الخيطي الذي يطوق وجود الاقحوانة بخيوط الشمس الأسطورية في عملية تلاحم بين المدركات في دائرة القصد ، وكقوله في مكان آخر [28] :

بادنٌ تجلو إذا ما ابتسمت
عن شتيتٍ كإقاح الرمل غر
بدلته الشمس من منبته
برداً أبيض مصقول الأشر

فهذه الأقحوانة النابتة في الرمل تشتد بياضاً وتوهجاً كلما تعرضت لضوء الشمس ، ولم يكن اختيار الشاعر لهذا اللون (الأبيض) جزافاً ، بل ليدلل على صدق مشاعره تجاه محبوبته ومدى الهدوء الذي تبعثه – عند رؤيتها - في النفس ، مستفيداً من الامتزاج الدلالي الحسي والمعنوي معاً ، ((وإحساس الشعراء بالثغر في تناسقه واستوائه وتفليجه جعلهم يتخطون الزمن ليعيدوا المرأة إلى حداثتها))[29] ، فخروج الأقحوانة من الرمل ـ بيئة الطلل ـ يعيد الأمل بعودتها إليه بعد تغير معالمه ، ويأتي الفعل (سقته) ليناسب ظمأ الأقحوانة التي تموت من دون سُقيا ، وحتى تكتمل مسيرة الصراع الوجودي فالشمس شكلت في هذا النص بؤرة شعرية بالفعل (سقته) و (حلت رداءها) ، فهذا التأكيد على إشراك الظواهر الكونية في الشعر الجاهلي هو نوع من أنواع إثبات الذات من خلال انطلاقهم في الذوات المحيطة بهم ، فـ((الشعراء الأوائل عينوا ذاتيتهم في ذواتهم ومارسوا انفتاحهم منها على الآخر ، أي الذوات الوجودية الأخرى))[30] ، أما الشماخ بن ضرار فقد أورد الشمس بسياق مختلف ، فقد ربطها بصورة الناقة [31] :

لها مِنسمٌ مثل المحارة خفة
كأن الحصى من خلفه خذف أعسرا
أذا وردتْ ماءً هدُوءا جِمامُه
أصَاتَ سديساها به وتشورا
وقد انعلَتْها الشمسُ نعلا كأنهُ
قلوص نعامٍ زفها قد تمورا

يحاول الشاعر تقديم رؤيته الخاصة عن عالمه من خلال الاستجابات التأملية التي تشكل البنية الداخلية لثقافته ووعيه ، فالشعر هو تصور لعالم آخر يختلف

DOI:10.18018/URUK/020-13/1493-1512

تماما عن الواقع ، لذا فإن الشاعر يحرص دائما على أن يكون شعره مداعباً لمخيلات المتلقين على اختلاف أذواقهم ومستوياتهم ، لأن ((عظمة الشاعر الجاهلي تكمن في أنه استطاع أن يخلق عالما شعرياً من اللغة ، ويحول تفاصيل الحياة الهامشية إلى رموز غنية الدلالة تكتنز رؤيته الشمولية ، وفاعليته في تأسيس تاريخية العصر))[32] ، فهروب البقرة بهذه السرعة الفائقة إذ يتطاير الحصى من تحتها ؛ كأنه رمي الأعسر الذي يرمي على غير هدى قصدية نسقية تعبر عن هروب الذات الشاعرة من واقعها ، لتنعكس في حقيقة القلق الوجودي والخوف من قسوة الحاضر والتخلص منه ، حيث ((وجدنا صورة الذات تتجلى في هذه التجربة الوجودية التي يكون مدارها الحيوان في صراعاته ونزاعاته مع الطبيعة والزمن والبشر ، إذ تكتمل فيه صورتها الأنطولوجية في ضوء الآخرية أحيانا))[33] ، وعندما نشاهد صورة الظل التي كونتها الشمس كأنه نعل أو طير صغير تحت حوافرها في إشارة إلى البدايات ونهاياتها ، واستحالة بقاء الأحوال على حالها ، فالماضي لم يبقَ منه إلا خواطر في الأذهان ، والحاضر الذي لم يبق منه إلا ظِلال على الكثبان ما تلبث أن تزول ، بهذه المعطيات البديهية يتشكل التصور الفينومينولوجي الذي نوه عنها باشلار عن حيثيته بأنها ((تتحدد وتتموضع عند منطلق الصورة أي مقاربتها في مباشريتها وفوريتها مؤكداً ان للخيال حتميته))[34] ، إذ إن هذه المقاربة تركز بشكل كبير على فورية ومباشرة خيال الذات في إطار التأملات ، ليتبلور تصور فينوميولوجي يعكس جمالية التعبير ، فقد عبرت الشمس عن مقدار حجم المعاناة التي نالت هذه الناقة في رحلتها الطويلة حتى جعلت من ظل الشمس نعلا لها ، لكنها – في حقيقة الأمر – معاناة الذات التي رافقت الناقة ، دخلت في إهابها ونقلت إحساساتها بصدق التجربة .

ثانيا : القمر

لم يكن القمر جرماً كونياً يقتصر وجوده على الأداء البايلوجي في الكون ، وإنما كان ولازال ((صورة روحانية ، ومن خاصية الصور الروحانية أن تسري في الأجساد النيرة))[35] ، فتاقت له النفوس ما بين شاكٍ وباكٍ ، كونه يمثل الصورة المثالية القادرة بأشعتها على أن تسهم في مواساة الروح في هذا الوجود المترامي ، ((فإذا كانت صور الأشياء قد ارتسمت في الخيال على حسب ما وقعت عليه في الوجود ، وكانت للنفس قوة على معرفة ما تماثل وما تناسب وما تخالف وما تضاد بالجملة ، ما انتسب منها إلى الآخر نسبة ذاتية أو عرضية ثابتة أو متنقلة أمكنها أن تركب من انتساب بعضها إلى بعض تركيبات على حد القضايا الواقعية في الوجود))[36] ، فيتحكم التناغم مع الخيال في تكوين الصورة لاسيما إذا كانت خيوط تشكلها تُحاك في جو منسجم مع ذلك التشكل ، كصورة القمر في ظلمة الليل التي تشبه ولادة الإنسان من رحم المجهول ، لوجود مشابهه بين العوالم ، ((فالإنسان العالَم الصغير ، سليل العالم الكبير))[37] ، فيبدأ رحلة تأمل ذلك العالم الصغير بهذه الظاهرة ليتعرف من خلال وجودها على ذلك الوجود الواسع ، ويجد لنفسه حيزا فيه ويبث في مجاهله ما يعتلج في وجدانه من هواجس ، وحين تنام العيون وتسكن النفوس يبقى ذلك الجسم المعلق في كبد السماء " القمر" يراقب الناس ، وكأنه يشاركهم أحزانهم بصمته متواطئا معهم على السهاد والارق ، يجد فيه الشعراء أمينا على مشاعرهم فيبوحون له بهذه الخلجات ويُشهدونه عليها ، لأن ((الغنائية الشعرية تنشد الانسجام الكوني وتثير جمال موسيقى الوجود بعاطفة منغمة بالشجو والحنان))[38] ، فلم تكن ظاهرة التعلق بالقمر حكرا على الشعراء فحسب ولا على الجاهليين منهم أو المحدثين ، بل هي ظاهرة رافقت وجود الإنسان منذ قدم الزمان ، فكانت السماء بعلوها وارتفاعها ، وما تحمله من ظواهر كونية تمثل له السطوة والسلطة والقوة ؛ فيتصاغر أمامها ويتذلل لها حتى وصل الحال ببعض الناس أن عبدها ، ((وتربع القمر على رأس هذه المعبودات وبلغت به العبادة درجة التعظيم))[39].

DOI:10.18018/URUK/020-13/1493-1512

ويُرجِع بعض الباحثين هذا الحضور الأنطولوجي للقمر على حساب غيره من الظواهر - كالشمس مثلاً - إلى حركة القمر المتنوعة ، إذ ((إن الشمس تشرق كل يوم في نفس المكان وتغرب في مكان محدد آخر في حركة منتظمة ، أما القمر فكل يوم هو في شان ، يشرق اليوم من مكان وغدا من مكان آخر ، فهو لا يستمر على حال وهذا واضح من خلال أطواره المختلفة يبدأ هلالا نحيلا ثم يأخذ بالامتلاء والاكتمال والتزايد حتى يستدير محيطه ويتوسط بدرا جميلا مشعاً ، ثم ما يلبث أن يتضاءل حتى يختفي تماما آخر الشهر)) [40] ، فهذا الوجود المضيء كان ملهماً ومثيراً للنفوس في أن تتخذه مثالاً لترجمة ما تبوح به من مشاعر ، ومن شدة حب العرب للقمر غلبوه على الشمس حتى عبروا عنهما بالقمرين ، وجعله لبيد بن ربيعة في سياق رثائه لأخيه [41] :

أبكي أبا الحزَاز يوم مقامهِ
لمناخ أضياف ومأوى مقترِ
والحي إذ بكر الشتاء عليهم
وعدتْ شآمية بيوم مقمرِ
وتقنع الأبرام في حجراتهم
وتجزأ الأشهار كل مشهرِ
ألفيت أربد يستضاء بوجهه
كالبدر غير مقتر مستأثرِ

يتذكر لبيد أخاه في ليالي الشتاء المقمرة لشدة بردها عندما تنقشع عنها الغيوم فيختبئ الأبرام (البخلاء) ينحجرون ويتقنعون في بيوتهم ، مخافة المشاركة في الوقت الذي يتسابق الأشهار (الكرام) في تقطيع اللحم وإطعامه للمقترين ، وكأن القمر لا يرحم أهل الُشح فيسلط أشعته عليهم ليجعلهم في دائرة الضوء ، يقطع عليهم طريق التواري خلف الجدران ؛ فلا يلام الشاعر حينئذ على المشابهة بين الكريم والقمر ، إن ((هذا الربط البنيوي بين القمر والبطل العربي ما هو إلا محاولة لتأويل الإنسان الجمالي بجذوره العميقة ، وفهم أبعاد شخصيته ودوره التاريخي ، مع التأكيد على ماهيته الجمالية)) [42] ، فإذا انسحب المُقترِون يبقى الكريم حاضراً يملأ البِشرُ وجهه والإيثارُ وجوده ، فتهون بخصائصه الجمالية قسوة الليل القارص ، فيستدل به المنقطعون ويستبشرون بوجوده كما يستبشرون بضوء القمر ويستأنسون به ؛ بهذا النشاط التأملي الذي يمارسه الشاعر إنما يُثير في داخل وجدانه بقايا أحلام اليقظة ، لأن التأملات كما يقول باشلار : ((هي نشاط حلمي ما يزال فيه بصيص من الوعي)) [43] ، ولأن الشاعر عنده لا يستطيع إتمام مهمته من دون أن يتفاعل مع أحلامه ، فأربد الذي رثاه الشاعر قد انتهى من الناحية الانطولوجية ولكنه بقي حاضرا في أحلام اليقظة ، يتخيله الشاعر موجودا يشع على عالمه " كالبدر" في اكتمال حقيقته الوجودية ، فاجتمعت في لوحته الرثائية مجموعة من " التأملات الشاردة " كونها تختلف في احساساتها باختلاف الصور الواردة إلى وعيه ؛ فـ " الليالي المقمرة القارصة " و" منظر البخلاء " وهم ينهزمون ، و" تنافس الكرام " على القِرى ، كل ذلك يمهد لصورة رسمها الشاعر متمثلة بأخيه الذي يشبه البدر المنير الذي تكتمل مراحل وجوده بلحظة واحدة ، بحضوره وبهائه وعطائه ، فهذه الأشياء التي جمعها لبيد في مقطوعته تلك تعني العودة إلى هذه الأشياء التي ((تخبرنا بكل شيء ، ولذلك ينبغي أن ننصت ونرهف السمع إليها ، إلى ما تقوله لنا)) [44] ، فإذا كان القمر يتحمل أشعة الشمس الهائلة من أجل أن يضيء لغيره فسنلمس قصدية من خاطبوه وإن لم يكونوا يعرفون هذه الحقيقة ، ولكنهم أدركوا بلا شك هذا التوهج الذي يوحي لهم بالسهر من أجلهم ، وتحمل كل هذه الطاقة الكبيرة من أجل أن يبقى يضيء لهم ، ويستعمل طرفة بن العبد القمر في سياق مختلف وهو الهجاء ، فعندما أقدم عمرو بن هند إلى مصادرة إبله بعد أن كانت في جوار أخيه قابوس تذمر من ذلك طرفة وأنشأ يقول [45] :

لعمرك ما كانت حمولة معبد
على جدها حربا لدينك من مضرْ
وكان لها جاران قابوس منهما
حذارا ولم استرعها الشمس والقمرْ
وعمرو بن هند كان ممن أجارها

DOI:10.18018/URUK/020-13/1493-1512

وبعض الجوار المستغاث به غرزْ

تعكس هذه الأبيات مدى التواصل الوثيق بين الشاعر وهذه الظواهر الكونية من حوله ، كما تدل على معرفة وثراء كبيرين بكيفية هذا التواصل وتوظيفه ، ((فالشاعر من غير أن يعي كل الوعي يمتزج عالمه الظاهري وعالمه الباطني في لحظة شعورية وأخرى لاشعورية ، لأن هناك مناحي مترسبة في أعماق الوجدان يستطيع الشاعر الفنان أن يجعلها تبرز مخترقة ستار الوعي)) [46] ، يستعمل الشاعر فن الهجاء وسيلة من وسائل الاحتجاج والضغط ، وصورة من صور الشجاعة التي تميز ذاته تميزا ساميا يسهم في كسر صنم الخوف الذي خيم على العرب من هذا الطاغية ، فجسد الشجاعة في أروع مظاهرها ، كما يقول الفيلسوف نيتشه : ((وإذا كنا حريصين حقاً على أن نجعل لوجودنا معنى ساميا وأن نرتفع بالحياة في سلم التصاعد نحو القداسة ونحو العلاء فلنصطنع الشجاعة في أروع مظاهرها)) [47] ، فالشاعر يمثل الوجود الواعي الذي يتأثر بما حوله ، فيكون على وعي به ، فيقصده بشعوره ويحاول أن يبحث عن ماهيته الوجودية ، ليعبر عنها بطريقة أدبية تختلف عن غيره ، فحين يأتي ذكر هاتين الظاهرتين في سياق التحدي والتمرد ، تعطيان إدراكا مختلفا عن إدراكهما في غير هذا السياق ؛ فهذا التموقع السياقي يكشف القصد الفينومينولوجي في إيصال صوت الشاعر إلى طاغية عصره محملاً بتأويلات متنوعة ، فعلى الرغم من كونهما أي القمر والشمس جمادين ولكنهما أكثر من عمرو بن هند وأخيه حفظا للأمانة ، كما إنهما يرمزان أيضا للحرية والاستغناء ، فلا سلطان لبشر عليهما ، ولكنهما على الرغم من ذلك لا يعتديان على أحد ؛ فهلا تأسى بهما ذلك الملك وأخوه ؟! مع ملاحظة إن عمرو بن هند يسمى ابن ماء السماء ، أما أخوه فيسمى قابوس - أي النور الذي يقتبس منه - فجاء هذا الشعر - تعريضا من بين السطور - من أن هذا العلو المدعى " بنوة ماء السماء " وكذلك " القبس " الساطع أنهما غير جديرين بحمل هذه العناوين الجمالية ، فلا يستمران بهذا الدعاء .

كما يستبطن هذا الهجاء الجريء تمجيد الشاعر لذاته التي استطاعت أن تكسر هذا الجدار الصلب أو تصدعه على الأقل ، وتطلق عليه نيران الشعر التي لا قِبل له بها ، وبعد فإن القمر والشمس ظاهرتان تتعلقان بالزمن ، وتحددان امتداداته بتجلياتهما المتكررة ، فتتولد عنهما الأيام ، مما يعني أن الشاعر لن يترك حقه مادام هذان النيران يتوقدان ، وعلى مدى الزمان الذي يأتيان به ، أما الشاعر عبيد بن الأبرص فاستعمل المعنى في سياق آخر وهو الإشفاق على ناقته ومعاناتها [48] :

ولقد أقطع السباسب والشُهب
على الصيعرية الشملالِ
عنتريس كأنها ذو وشومٍ
أحرجته بالجو إحدى الليالي
ثم أبري نحاضها فتراها
ضامراً بعد بُدِنها كالهلالِ
ذاك عيش رضيته وتولى
كل عيش مصيره لهبالِ

إن هذا النص كغيره من النصوص الجاهلية هو وليد الذهنية المنطلقة في الفضاءات الواسعة والصافية ، فاستعماله لتقنية الترميز بهذا الشكل المحكم يوحي باستيعاب مبكر لها ؛ فحينما يُطلِق العربُ ((اسم " النحيرة " على الليلة الأولى أو الأخيرة من الشهر عند رؤيتهم للهلال لأنها تنحر الشهر الداخل)) [49] ، والنحر كما هو معلوم للابل ، نتلمس تشبيه الشاعر للناقة بالهلال ، ومدى المقاربة الدقيقة التي توخاها ، لاسيما إذا أضفنا مُعطًى آخر لصورة الهلال وهو تذمر العرب من رؤيته ،،فتقول : ((لا مرحبا بُمحِل الدَين مقرب الأجل)) [50] ؛ نتعرف على ملامح هذا التشكيل الإبداعي من تصوير هزال ناقته بالهلال ، فنشعر بقسوة الحاجة ومرارة الدَين ، كل ذلك دفعه لقطع هذه المفاوز التي عبر عنها بالسباسب والشهب التي تسببت في هذا النحول ؛ لتغدو كالهلال من شدته ، انطلقت هذه الرؤية من خلال الفهم الوجودي الذي يعتمد على تجلي الموجودات في وعي الذات ، لأن ((الذات ليست هي من يجلب الأشياء للعالم

DOI:10.18018/URUK/020-13/1493-1512

أو يخرجها من حالة الخفاء إلى صفة التجلي ، بل إن العالم هو الذي يخلق السياق الذي به يتسنى الفهم المسبق في مواجهة الموجود ، لأن هذا الفهم المسبق هو الذي يسمح للإنسان أن يندمج وفقا لطبيعة تسجيل دخوله للعالم)) [51] .

هذا الفهم المسبق هو الذي لا يمكن له إغفال قرينة أخرى تعضد هذه الرؤية ، وهي تشبيه موجودات معينة مثل الناقة بحمار الوحش بوصفه رمزا من رموز الصراع الوجودي في القصيدة الجاهلية ، فعندها ستنجلي لدينا ضبابية النص شيئا فشيئا لنرى الوجه الآخر منه ، ونعيش مع الشاعر حالة الصراع النفسي الذي صبغ العَوز أبياته تلك ، فيكون الهلال موضوع التوجه الواعي للشاعر بتلك الهيئة بسبب ضيق المعيشة ، فنَحر ما في الشاعر من قوة وعزيمة حتى لا يبالي أن تُنحر ناقته من أجل بلوغ غايته ، وهي تطوي السباسب والمفاوز حتى تغدو كالهلال من شدة الفاقة والإلحاح ، فيشفق عليها ويذكر لها هذا الموقف الذي اضطر عليه بقرينة البيت التالي الذي يبرر هذه المعاني :

ذاك عيش رضيته وتولى

كل عيش مصيره لهبالِ

وما هذا الاندماج بين الشاعر وبين تلك الظواهر الطبيعة من حوله إلا الشعور بعمق الحضور الكوني في وجدانه وفي منطقة اللاوعي عنده ، كما أن الهلال بطبيعته المتجددة تتوحد فيه شخصية البطل الحضاري عندما يوحد الوعي الشعري بين البطل بادئاً وبين القمر بنيوياً من خلال الهلال ودلالته على الولادة والتجدد والبدء[52] ، ومن ذلك قول الأعشى [53] :

إلى ملك كهلال السما

ء أزكى وفاءً ومجداً وخيرا

ندرك من خلال هذه الصورة الخيال الخصب للشاعر ، عن طريق الجمع بين الإدراك وبين الإبداع الذي يجعل العالم في علاقة تطورية بين الفاعل والموضوع ، وبحسب هيدغر الذي يرى : ((وبقدر ما يكون الشاعر قادرا على التعبير عن تجربة وجودية كإدراك هشاشة الوضع الإنساني في العالم ، أو تجربة السير نحو الموت يكون قريبا من الوجود ، فالعالم موجود هنا ولا يطلب إظهاره كما هو))[54] ، فيكون الشاعر هو الذي يحدد رؤيته ، بشكل يعكس وعيه بلغته وبما حوله من الأشياء وغيرها ، أما الشماخ فاستعمل هذه الظاهرة الكونية " القمر " بشكل مغاير وتعبير وسياق مختلفين عن أقرانه السابقين [55] :

عزم التجلد عن حبيبٍ إذ سلا

عنه فأصبح ما يتوق متاقا

وتعرضت فأرتك يوم رحيلها

عذب المذاقة باردا براقا

في واضحٍ كالبدر يوم كماله

فلمثلها راع الفؤاد وراقا

يستنجد الشعراء بالظواهر الكونية ويزينون بها شعرهم لأنها تهبهم شيئا من العزاء ، والتعويض عن صعوبة اللقاء ، فيلجأون إلى الانفتاح على جمال الطبيعة ويلبسونها صفات محبوباتهم ، أو يستعيرون لهن صفات تلك الظواهر ، ولفرط ما جُبِلت عليه حياتهم القلقة بحثاً عن مادة وجودهم ، فما أن تقوى أواصر الحب بين المحبين حتى يُفاجِئ الرحيلُ هذه المشاعر النامية فيتركها نهباً للواعج الشوق والحنين ، فلا عجب أن يتردد ذكر البدر في أشعارهم ، لأنه يمثل التجلي الأبهى والأتم لصورة القمر في إشعاعه على الآفاق ، ولهيمن على الوجود المحيط بالشاعر ، مما يشي باستحواذه على كل الزوايا المعتمة في وجدانه ، كونه يذكره بوجود حبيبته المهيمنة على كيانه أيضا ، من خلال ((العلاقة البنيوية التي يقيمها هذا التشكيل بين ما يتميز به الإنسان الجمالي من كمال حققه وجوده للقيمة ، وبين كمال البدر ونوره الساطع))[56] ، كما أن ((اللون الأبيض يبعث على الراحة والطمأنينة ويدل على الطهر والبراءة ويكشف عن شخصية الإنسان))[57] ، ويأتي استعمال الشاعر للفظة " تجلد " لأنها صفة معنوية مقارباً بينها وبين مفارقة الديار التي توحي بسببية الجدب والقفر ، أحد أهم أسباب الجفاء وترك الأحبة ، وتجلياً لقسوة قلبها في مطاوعته

DOI:10.18018/URUK/020-13/1493-1512

للرحيل في إشارة إلى القوة والجلادة ، وانعكاسا لألوان تلك الظواهر على وجود الشاعر ، فكثيرا ما تجلب الطبيعة انتباه الشاعر الجاهلي إلى تميزها ؛ ((لأن أداة الإحساس التي يعتمدها الجاهلي هي عينه))[58] ، كما أن المرأة تمثل له مصدر القوة والعزيمة في مواجهة قسوة الحياة وبؤسها ، فيكون رحيلها رحيلاً لعذوبة العيش وبرودته للظمآن ، وبما أن الإنسان يعيش تجربة وجودية في مواجهة الزمان ، لذا ((فإننا نرى أن إحساس الشاعر بالزمان يقترن مع إحساسه بالفناء الذي يصيب الوجود الإنساني والحيواني ، بينما يبقى العالم بما فيه من مظاهر الطبيعة محافظا على كينونته))[59] ، لأن الذات أدركت أن هذه الظواهر مهما كانت حاضرة في وجدانها إلا أنها توشك أن تفارقها شاءت ام أبت .

ثالثا : النجوم والكواكب الأخرى

إننا نجد الهجاء والفخر والرثاء وغيرها من الأغراض الشعرية في أبواب مفردة تحدث عنها النقاد قديماً وحديثاً ، ولكن يندر أن نجد غرضاً اسمه النجوم والكواكب ، أو باباً منفرداً بل يكون ملحقاً بغيره من الأغراض أو الأبواب ، فإذا كان الحديث عن فراق الأحبة جاء ذكر النجوم والكواكب شاهداً على السهر ، وإذا جاء الحديث عن المدح أو الرثاء يأتي ذكرهما شاهداً على علو الهمة ، وكذلك الغزل فيشبه الشعراء الحبيبة بضياء النجوم والكواكب ، وإذا وجد ذكرهما مستقلاً وهو نادر جداً فلا يأتي معبراً عن التجربة الذاتية للشاعر ولاعن غنائيته ، بل يدخل في باب الوصف الذي يشمل جميع الظواهر والأشياء التي تناولها الشاعر الجاهلي في إطار الحديث عن الوجود الذي ينتمي إليه ، ويأتي هذا المعنى من التصنيفات الأدبية التي تركها النقاد القدامى ، حيث أورده أبو هلال العسكري في كتابه : (ديوان المعاني الكبير) وخصص في جزئه الأول باباً كبيراً أسماه (باب وصف السماء والنجوم والليل والصبح والقمر وما يجري مجرى ذلك) ، وكذا الراغب الأصفهاني في كتابه : (محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء) في فصل أسماه (الأزمنة والأمكنة والنبات والشجر والنيرين والكواكب) ، وابن قتيبة الدينوري في كتابه (الأنواء) ، فهذه الأجرام السماوية تحكي قصة الدهشة الأولى التي أسهمت في صناعتها المخيلة الشعرية البدوية ، ودفعت الذات إلى الشعور بالتضاؤل أمام هذه الظاهرة الكونية .

وقد جاءت صورة النجوم والكواكب محفوفة بالأساطير نتيجة التفكير البدائي الذي كان يتسم به البدوي آنذاك ، فكان يندفع أحيانا باتجاه عبادتها ؛ عبادة تقوم على ((أساس تقديس النجوم))[60] في علاقة نفعية يهتدون من خلالها إلى ما يحتاجون إليه ، فكانت بالنسبة لهم كالشاشة تعرض أمامهم خارطة حياتهم بسبب صفاء الفضاء وانفتاحه ، ويمكن القول : ((إن العوامل التي دفعتهم إلى معرفة النجوم ومعرفة أوقات طلوعها أو افولها ، كانت العوامل نفسها التي دفعتهم إلى معرفة المطر والسحاب والرياح))[61] ، فكانوا ينتفعون بها ما دامت على ثبات في مواسمها ، كما في نص النابغة الجعدي ورؤيته الكونية إذ يقول [62] :

فباتَ عَذوُباً للسماءِ كأنهُ
سهيلٌ إذا ما أفردتهُ الكواكبُ
كطاوٍ بِعَروى ألجأته عشية
لها سَبَلٌ فيه قطارٌ وحاصِبُ

يصور النابغة الجعدي تجربة قاسية حينما يصور حالة العزلة التي يعيشها الثور الوحشي في جوٍ كئيب متوجهاً إلى السماء التي لا يحجبهُ عنها سقف ، وهي ملبدة بالغيوم تعصف به موجات البرد وزخات المطر ، وهو - مع ذلك - يعاني الجوع والخوف في ذلك الموضع النائي (عَروى) ، في هذا التشتت الرهيب للتأملات المنفعلة في لحظات الانعزال نستطيع ((تبيان أن الصورة الكونية تنتمي للروح ، للروح المنعزلة والمتوحدة ، للروح التي هي مبدأ كل انعزال (بمعنى وحدة وعزلة) الأفكار تتمحص وتتكاثر كلما تشعبت))[63] ، وبفضل التخيُل الدقيق وتوظيف اللاواقع الذي اشتغل عليه الشاعر بحبكة نصية مشحونة بعناصر الميثولوجيا المتمثلة بالنجوم والكواكب والثور الوحشي تكتمل ملامحها في تجسيد الحدث المعبأ بدلالات رمزية مكثفة ،

DOI:10.18018/URUK/020-13/1493-1512

فالثور الوحشي يتميز بعزلته الدائمة وتفرده المطلق من بين الحيوانات ، لاسيما في هذه الأجواء القاسية التي تحكي خفقان قلبه وشحوب لونه ، كذلك يتميز ((النجم سهيل بتوحده واصفراره وخفقانه))[64] ، بهذا السبك الموضوعي الذي يترك في المتلقي حالة من الاندماج من خلال خلق عامل مشترك بين الذات والمتلقي وعناصر الصورة المُؤْنِسَة [65] . وبخلاف هذا المعنى قول الشاعر أبي ذؤيب الهذلي [66] :

فوردن والعيوق مقعد رابي الـ
ضُرباء فوق النجم لا يتتلع ،
فشرعن في حجرات عذبٍ بارد
حصب البطاح تغيبُ فيه الأكرعُ
فشربن ثم سمعن حساً دونه
شرف الحجاب وريب قرعٍ يقرعُ

في هذه الرحلة المحفوفة بالمخاطر والتوتر الناتج عن الشعور بمسؤولية الحفاظ على الأسرة من الموت ، وفي تلك الأجواء المخيفة حيث الليل البهيم والمطر الشديد والبرد القارص والجوع المُمِض وكلاب الصيد ، نلمح هذه الرحلة محملة بوابل من شحنات القلق والترقب ، وينتج عنها شعورٌ بالعجز والاستلاب ، فيتفجر المونولوج الداخلي بخواطر التوجس الذي خيم على مطلع القصيدة حتى معظم أبياتها ، ليرتفع سقف التوقعات الغامضة والخطيرة ، فتشبه هذه الأتن في حركتها حركة سهام الربابة عندما يشتتها صاحب القداح ثم يجمعها ، فيصيح على أصحابها ليأخذوا سهام توقعاتهم ويتوطنوا على قبول نتائجها ، فما أشبه سهام الصياد بهذه السهام ، عندئذٍ يكون مصير هذه الرحلة مجهولاً خاضعاً لقوانين المقامرة والمغامرة ، وبعد أن كان النجم مصدر إلهام ودليلا للتائه في الصحراء يساعده في التخلص من مجاهلها ، جاءت صورته ــ عند أبي ذؤيب ــ في هيأة المتواطئ مع صاحب القداح ، فيشرف على لعبة الموت من دون أن يتقدم خطوة لإنقاذ الموقف من دوامة الصراع ، بل يبقى مسانداً للموت وهو يخطف الأسرة واحداً بعد الآخر في لحظة معزولة عن الحياة .

إن التأكيد على عزلة هذه اللحظة يجعلنا ((نذهب إلى القول بوجود درجات في الموت ، وأن الذي هو أقوى من الموت هو هذا الذي أخذ في الانقضاء))[67] ، بهذا السياق التراجيدي المُفجِع صور لنا الشاعر افتراس الموت لبنيه واحداً بعد الآخر ، وهو عاجز عن إنقاذهم من براثنه في لحظات قاسية من لحظات القدر ، فحاول إسقاط تجربته على ذلك الرمز الفني في عينيته ، ناقماً من الوجود الذي يَظُن أنه تخلى عنه كالسماء ونجومها ، والأرض وسكانها ، ولازالت رحلة البحث عن أثر النجوم في الذات مستمرة ، ويمكن أن نجد مثيلا لها مع لبيد بن ربيعة الذي يقول [68] :

وعانٍ فككتُ الكَبلَ عنه وسُدْفَةٍ
سَريتُ وأصحابي هديتُ بكوكبِ
سريتُ بهم حتى تغيب نجمهم
وقال النعوسُ نور الصبح فآذهبِ
فلم أُسدِ ما أرعى وَتَبْلٍ رَدَدْتُهُ
وأنجحت ، بعدَ اللهِ من خيرِ مَطلَبِ

تتجلى حالة الإصرار والتحدي لمجاهل الفلوات في زخم الإلحاح المتواصل على الذات ببعديها المادي والمعنوي ، فيتصدى الشاعر للقيادة في نبرة عالية من الاعتداد بذاته ، إذ يؤثر صحبه على راحته ؛ ينامون ويبقى يرقب النجوم حتى لا يضلوا طريقهم ، مقتحماً الليل ووحشته ، ومعلوم أن الإسراء يكون في الليل ، فلماذا يضيف الشاعر الليل إليه مرة أخرى بمرادفه (سدفة) ؟ ما ذلك إلا ليؤكد حالة الاقتحام الجريء التي أصر عليها في أحلك الأوقات وأقساها ، فعلى الرغم من الحاجة البايلوجية للنوم يبقى متيقظاً ، وذلك دليل على الوعي التام للذات وحضورها الميتافيزيقي في الحدث ، وعلى الرغم من احتياجات المادة واشتراطاتها الوجودية في مواصلة رحلة البحث عن الحرية وتكسير قيودها ، (وعانٍ فككتُ الكَبْلَ عنه بسدفةٍ) فقيود الخوف المقترن بحلق الحديد يعكس الحضور المادي للكبت والانغلاق في الذات المقهورة ، فإذا حصل ((أن اعترف المرء أنه يضع قيماً في الإهمال ، فهو لا يستطيع بعدها أن يريد إلا شيئاً

DOI:10.18018/URUK/020-13/1493-1512

واحداً وهو الحرية بما هي أساس لكل القيم))[69] ، ونحن وإن تصورنا عدم وجود (عانٍ) في قصد الشاعر يمكننا القول : إن هذه القيود المقصودة في المشهد إنما هي رمز لقيود التردد والإحباط وتحطيمها في مواجهة المخاطرة ، قيود الأنانية المُعَرِضة عن العيش المشترك ، وتوثيق لحلق التواصل بينها وبين الآخر ، لأن الحرية ((هي القوة التي تظهر ما في صميم الذات الإنسانية من صفات مفردة ، أو هي الطاقة التي بها يحقق الإنسان ذاته في كل فعل من الأفعال ، فيشعر بحريته مباشرة ، يدرك أنها ميزة نظام فريد من الحوادث))[70] .

وكان للكوكب حضور هام في مشاركة الذات في هذه الرحلة ، إذ يهون عليها وحشة الليل ويبدي لها أنه – من خلاله - سيصل بها إلى حيث تريد ، يشاركها السهر بعد أن نامت عيون رفقتها ، ويكسر معها قيود الملل كما كسرت القيود عن الآخرين ، وتستأنس الذات بتوهجه الذي يحكي توهجها من أجل أن تكون واعية وحاضرة ، وتستمر رحلة البحث عن الحرية عند علقمة الفحل أيضاً ، فمن خلال توظيف ظاهرتَي النجوم والكواكب في سياق المدح يقول [71] :

هداني اليك الفرقدان ولاحبٌ
على طرُقٍ كأنهن سُبُوبُ
بها جيف الحسرى فأما عظامها
فبيضٌ وأما جلدها فصليبُ
فأوردتها ماءً كأن جمامه
من الأجن حناءٌ معاً وصبيبُ

لا تزال رحلة البحث عن الحرية تمسك بتلابيب الشاعر وتُقسِره على البقاء في دائرتها ، فعلقمة في رحلته إلى الحارث بن أبي شمّر الغساني يسأله فك أخيه شأس في قصيدة استهلها في موقفين متضادين في بيتها الأول :

طحا بك قلبٌ في الحسانِ طروبُ
بُعيد الشبابِ عصر حان مشيبُ[72]

إذ بدأ في شطر البيت متفائلاً وفي عجزه متشائماً ، في إشارة للتردد الذي يعتمل في نفسه من جدوى هذه الرحلة ومدى فاعليتها ، مُعوّلاً على الوعي الذاتي للمخاطب وهو الممدوح ، ليقرر بعدها في أي كفة يضعه ، أمع الأمل والتفاؤل ؟ أم مع اليأس والإحباط ؟ فالفرقدان هما نجمان أحدهما أكبر من الآخر يُضرب بهما المثل في عدم الافتراق ، كما قال الشاعر :

وكل أخ مفارقه أخوه
لعمر أبيك إلا الفرقدان

ويأتي استعمال الشاعر لهذه الظاهرة في قصيدته ليشير إلى شدة التواصل الوجودي بين هذين النجمين ، فأتقن توظيفهما وتصويرهما ، وتوثيق آصرة الحب والتلاحم بينه وبين أخيه من خلالهما ، فكما أن الفرقدين مرتهنان في مكان واحد فلا يَطّلعُ أحدهما إلا والآخر إلى جانبه ، فكذلك شأس وعلقمة يعيشان هذه التجربة الوجودية ، فهما لا يفترقان في تأثيرها ، فإذا كان الأول يعيشها وهو يرسف في قيودها فإن الثاني يعيشها بتفاصيلها المؤلمة في تضامن وجودي يعكس عمق هذه العلاقة ، فوحدته كانت التوحد مع أخيه حتى وإن لم يكن قريباً بحضوره المادي منه ، ثم يصف قساوة رحلته الليلية إذ دلت كل تفاصيلها على الخوف وتجليات القهر الذاتي والاغتراب ، فشدة الظلام والجيف المتناثرة في الطريق في حركة زمنية كلها توحي بحضور السلبية الجامدة ، حتى الماء الذي يرمز للنماء والحركة والحيوية يصوره الشاعر بالقِدمْ والركود ، فأفسده الدهر وعافته الكائنات الوجودية الأخرى ، في رؤية متذمرة من الوجود إذ ينتهي إلى هذا الضرب من العزلة والانكسار ، ويعيش الشاعر عبيد بن الأبرص تجربة لا تقل قساوة وضراوة عن تجربة غيره من الشعراء ، فيقول [73] :

كالكوكب الدّرّي يُشْرِق متنه
خرصاً خميصاً صُلْبُهُ يتأودُ
في روضة ثلج الربيع قرارها
مولية لم يستطعها الرُّوَّدُ
وبدا لكوكبها صعيدٌ مثل ما
ريح العبيرُ على الملابِ الأصفد

DOI:10.18018/URUK/020-13/1493-1512

انتقلت هذه القصيدة - التي نحن بصدد قراءة هذا الشاهد الوجودي منها - عدة انتقالات بدءا من مطلعها الحكمي :

إن الحوادث قد يجيء بها الغدُ
والصبح والإمساء منها موعدُ

ثم انتقالها من الناقة إلى الثور الوحشي للدلالة على الانتقال من الضعف إلى القوة ، ومن الانقياد إلى القيادة ، ومن الخضوع إلى التمنع ، في حركية واعية للوجود ، ولكن مشكلة هذه الحركية الأساس ((أنها تستنفد إمكانات وجودها بسرعة ، أي أن صيرورتها تتحول تدريجياً إلى مصير))[74] ، ويتجلى هذا التحول المصيري الذي قصده الشاعر في وعيه للموضوعات المحيطة به في الجنبة المثيولوجية التي تحدد طبيعة الصراع المهيمن على جو القصيدة ، والمترسب في الذاكرة الشعبية ضمن الفلكلور القبلي ، في لحظة هياج واستنفار يقوم بها الشاعر ، حيث شبَّه الثور الوحشي بالكوكب الدُريّ يشرق ظهره من البياض جائعاً في لحظة توحد وعزلة ، ((يقضي ليله متأملاً متفكراً خاشعاً في سمو وتطهر وترفع وأحيانا في توتره وأرقه وتحفزه وتوجسه))[75] ، لوجود علاقة بين رمزية هذا الثور وما يمكن أن يؤثر به في الوجود ، لأن الاسطورة تشد أواصر التلازم بين الكائن التأملي (الإنسان) بوعيه وإن كان بدائياً وبين الوجود في لحظة تجليه المثير لذلك الوعي الإنساني ، ويأتي تشبيه الثور الوحشي بالكوكب الدري لتكريس العلاقة بين وجوده الخاص وبين القمر وضيائه في السماء وتأثيره في الحياة البدوية ، ومن أجل تأكيد أسطورة ارتباط الثور بالقمر ، كقول أبي ذؤيب الهذلي في موضع آخر[76] :

من وحش حوضي يراعي الوحش مبتقلاً
كأنه كوكب في الجو منحردُ

ويأتي ذكر الثور الوحشي في سياق التخلص من الفقر والقحط بما يمثله هذا الكائن عنده من رمز للخصب والخير ، ليثير ممدوحهُ ــ شراحيل بن الحارث الكندي ــ في أن الدافع وراء هذا التشبيه تذكيره بعلة شد الرحال والقصد إليه ، لأن ((صورة الثور الوحشي والشرط البيئي يكونان متطابقين في النص الرثائي والمدحي على حد سواء ، فالثور يبدو منفردا قلقاً متوجساً خائفاً من التهديد الإنساني ويعاني من ظروف البيئة))[77] ، لأن الثور من الحيوانات النباتية التي تعتاش على النباتات ، فيكون التصور متوجهاً إلى علة وجوده في تلك الأجواء الحالكة ، فهذا التحول في المصير أوجس لدى الذات هذه الخيفة من الفناء في ظل الصراع البيئي والبشري ، فكان لابد – كما فعل الثور – أن يشرق متنه لذلك الكوكب أملا في الحصول على شيء من الأمن والرخاء .

هذا الالتقاء بين الذات والحيوان – في ظل ذلك الكوكب – جعلها تعيش حالة من الانشغال به ، لأن الموقف الذي تعبر عنه يتطلب بشدة وجوده معها ، لحاجتها إلى التخفي ورغبتها في عدم الظهور صراحة في هذا المشهد الشعري ، فيصبح هذا الحدث مكونا أصيلا في وجودها ، وحاصلا على امتياز الظهور بدرجة المساواة معها ، وهذا النمط من الوجود الذي يُظهر الظواهر الفلكية ويعمل على تجليها نتحصل عليه من خلال آليات الفهم الأنطولوجي لسلوكيات الذات التي تخطط لمشروع وجودها في العالم ، لأن مهمة الفهم تتجلى في تأويل كينونة هذه الذات التي تعرض وجودها في العالم من خلال خطابها الشعري الذي يخضع – آليا – لهذه القراءة التأويلية .

خاتمة

بمقدار ما تتعلق الظواهر الكونية بكونها موضوعات في وعي الذات التي تلتقي بها في حياتها اليومية ، إلا إن الصمت والتخبط في دروب الحيرة والضياع يتمثل في تحديد توجه الذات إليها ، ويتعلق الأمر أيضا بمتعلقات هذه الظواهر وما توحيه لدى الشعراء من روابط يعمل عليها إدراكهم الحسي بوجودها ، وغالبا ما تعلق الشعراء بالأجرام والكواكب والنجوم لكونها تثير في النفس لواعج الشوق والغرام للمرأة التي وهبت الظاهرة الكونية قيمتها وأهميتها بالنسبة لذات الشاعر العاشقة ، وأحيانا ما توحي به هذه الظواهر من إحساسات مختلفة تنضوي في

DOI:10.18018/URUK/020-13/1493-1512

علاقات الذات بالآخر ، وتتجلى في موضوعات مختلفة في حياة الذات ما بين الشدة والرخاء والحزن والفرح والأمل والألم ، فتمضي باستعمالها في مواطن مختلفة من موضوعات النجدة والكرم والعزلة والإخاء والصبر على المكاره ، وبمقدار ما تحظى به النفس من سكينة ودعة حين تذكر لحظات القرب من المرأة المعشوقة التي كانت الظاهرة الكونية شاهدا على ساعاتها التي لم تدم وآلت إلى الانقطاع .

ويمكن أن نجمل أهم ما مثلته هذه الظواهر الكونية بالنسبة لشعراء الطبقتين الثالثة والرابعة من تجليات في ذواتهم بالنقاط الآتية :

1 - نظر شعراء الطبقتين الثالثة والرابعة للشمس بوصفها موضوعاً راسخاً في ذواتهم ، فشخصت إليها مخيلتهم وأكثروا ذكرها على قدر ما شعروا بأهميتها ، من خلال الانفعال ثم التفاعل بها ومعها ، ومن خلال انتقال الأجسام من وجوداتها الخارجية إلى الذات ، فتحدث أثراً كبيرا في وعيها يدفعها إلى أن يتوجه قصدها إليها من دون النظر إلى أي شيء آخر ، لينسجم بذلك المحسوس باللامحسوس ، ويترك للوعي مساحة حرة من الحركة في دائرة المنظور من تلك الظواهر ، والغوص بعد ذلك في ماهيتها الوجودية ، فشغفوا بلونها الأبيض ، وربطوا بينه وبين ابتسامة حبيباتهم ، وقرنوها بزهرة الأقحوان ، ورأوا في الشمس ذلك التوهج الملتهب الذي أشعل نيران الوجد في ذواتهم ، فتحرقوا شوقاً لمن يحبون ، ووجدوا فيها وجوداً يسمو على الضياء ، بل أدركوا أن الحياة من دونها لا قيمة لها ، فهاموا بها وضَّمنوها أشعارهم مدركين القيمة الحقيقية لوجودها الكوني ، ولم تكن مجرد جرم سماوي يرون فيه الفائدة المادية ، بل امتدت لتتغلغل في وجدان الذاكرة المثيولوجية ؛ فعبدوها استمرارا لتقليد يمتد إلى أجيال سحيقة في القدم ، تناقلتها الحضارات الإنسانية ليصل إلى وعي البدوي ، فيختزل بعد ذلك جانباً أسطوريا يقوم على التقديس والتبجيل ، ورأوا فيها كذلك رمزاً للخصب والكرم والعطاء فضربوا بها الأمثال ، ورسموا لحظات شروقها المنتظرة بشوق بعد ساعات الليل الساهرة متخيلين فيها لحظات اللقاء مع الحبيبة التي تشرق على وعيهم كشروق الشمس على الوجود ، بعد زمن من الفراق والغياب ، وتذكروا بدفئها دفء الحبيبة ليذوب بطلتها جليد المشاعر المتجمدة ، فتذوب زلالاً رقراقاً ، أو للتأكيد على دفء ما يقدمه الكريم لأضيافه الذين يرون فيه وفي ابتسامته شروق الشمس وفرحتها .

2- ارتبط القمر بالذاكرة المثيولوجية لدى معظم الشعراء في بيئتهم ، ورأو أن إشرافه عليهم من عليائه وتسلط ضوئه عليهم يعكس تسلطه الوجودي ، حتى رأى بعضهم أنه ربٌ يعبد ؛ فتغنوا به ليس فقط لكونه جميلا ، بل كان هذا اللهج بذكره يشبه التسبيح بحمده في أشعارهم ، لكي يرضى عنهم ويتقربوا إليه من خلال اللاوعي المركز في مخيلتهم ، وتجاوز القمر وجوده المادي ليكون حاضراً في وعي الشعراء يتخذونه غرضاً للتعبير عما يختلج في وجدانهم ، فتنقلوا معه عبر انتقالاته الوجودية من خلال مراحله ، فكان البدر يعني اكتمال صفات المحبوب عندهم أو الممدوح أو وبلوغ الحب درجة الكمال في مخيلتهم ، وكان الهلال يحكي شحوبهم ونحول أجسامهم لما مر بهم من الهم والحسرات ، ورصدوا مفرداته اللغوية كتسمية ليلته بالنحيرة ، لأنها تنحر الشهر الفائت ، وربطوها بنحر الإبل ، فاكتملت لديهم دلالات الكرم والشجاعة ، وتشاءموا من نهايته لمطالبة الغرماء لهم وإمهالهم حتى آخره ، ورأوا في ضيائه سلوة لهمومهم ، فبثوه شكواهم واستمع إليهم بصمت ، شكروا له صبره عليهم وإنارته لطرقهم ، فكان رفيقاً لهم في رحلاتهم التي تنوعت مقاصدها ، لم يجامل البخلاء فكان شاهدا على شُحهم وجفائهم ففضحهم بأشعته ، وحفظ للكرماء كرمهم عندما استعانوا به لإقراء أضيافهم ، استخفوا بالطغاة الذين حاولوا الاقتراب منه فهجوهم هجاءا مراً ، وبلغ من حبهم له أن فضلوه على الشمس وغلبَّوه عليها في الحديث عنهما ، فكانوا يقولون القمرين ولم يقولوا الشمسين ، حاولوا جاهدين أن يحيطوا بماهيته وعياً ، فذكروا له سياقات تقربه إلى الإدراك من خلال قصدهم

DOI:10.18018/URUK/020-13/1493-1512

لوضعه في تلك السياقات ، إلا إنه ظل ظاهرة فريدة لا يعرفون منها إلا خصائصها المنيرة عن بعد .

3- لم يكن هناك باب مخصص في الشعر العربي للنجوم أو الكواكب كبقية الأبواب المعروفة كالهجاء أو الرثاء أو غيرها ، بل يمكن أن تدخل في باب الوصف بشكل عام ، علق الشعراء على النجوم والكواكب آمالهم فكانت جل علاقاتهم معها علاقة نفعية ، بها يهتدون وإليها يتقربون ضمن الرؤية الميثولوجيه التي لا تقل شأناً عن رؤيتهم المثيولوجية السابقة للشمس والقمر ، شابهوا بينها وبين محبوباتهم ، لاسيما نجم سهيل الذي يتمثل باصفراره ، فشبَّهوا به ألوانهم الصفراء الشاحبة وألوان محبوباتهم ، وحاولوا أن يربطوا بين وحدته ووحدتهم ، رأوا في النجوم والكواكب الرفيق الذي لا يمل من مرافقتهم ، فيستأنسون بها ويبثون إليها لواعج ما يعتمل في نفوسهم ، ورأوا في عُزلةِ بعض النجوم كسهيل عن باقي النجوم مثالا على عزلتهم واغترابهم وإقصائهم ، واتهم شعراء آخرون النجوم والكواكب ، إذ رأوا أن بعضها متواطئاً عليهم مع الموت ، لاسيما عند أبي ذؤيب الهذلي ، ورأى بعضهم في عدم افتراق بعض النجوم عن بعضها الآخر ، وشدة مصاحبتها لبعضها مشابهة وثيقة أيضاً بين مصاحبتهم لإخوانهم وشدة تعلقهم بهم ، رافقتهم النجوم في رحلة البحث عن الحرية فتوجه وعيهم نحوها ؛ لتحفيز الآخر وتشبيهه بالنجم والكواكب ، وبعمق العلاقة التي تربطهم بإخوانهم الذين يرسفون في سجون المقصود المباشر بالخطاب ، مما يترك الباب واسعاً أمام المتلقي الذي يأتي بعد حين من الزمن ؛ ليتفاعل مع النص ويعطي رأيه فيه و يتذوقه أيضاً ، حاول الشعراء إسقاط تجاربهم على النجوم والكواكب بوصفها رموزا تختزل المزاج العام الذي يتحول في النتيجة إلى موضوعات مقصودة من لدن الذات ، فحام حولها فهمهم وتحركت في فلكها مشاعرهم ، ويأتي توظيف النجوم والكواكب في مخيلة الشعراء الجاهليين في إطار التواصل بنيهم وبين هذه الظواهر الوجودية ، ومدى انعكاس حضورها على وعيهم ، وما تلعبه من دور في مجمل حياتهم ، حتى ربط بعضهم مصيرهم بحركاتها مما عرف بظاهرة التنجيم .

الهوامش

[1] - ينظر : جاستون باشلار جماليات الصورة (غادة الإمام) : 195 وما بعدها .

[2] - ينظر : التجربة الشعرية ، دراسات ونماذج (ترجمة : فضيلة يزل) : 62 .

[3] - ينظر : النظرية التأويلية عند ريكور (حسن بن حسن) : 13 – 14 .

[4] - ينظر : مفهوم المكان والزمن في فلسفة الظاهر والحقيقة ، دراسة في ميتافيزيقا برادلي (د. محمد توفيق الضوي) : 42 .

[5] - ينظر : النظرية الظاهراتية ، المقولات والتوظيف الجمالي (د. سلام كاظم الأوسي) : مجلة اللغة العربية وآدابها العدد 12 : 220 .

[6] - صرح الفلسفة : ول ديو رانت : ترجمة : أنور الحمادي : 2 / 406

[7] - القيم الجمالية في الشعر الجاهلي : عبد الحسن خلف : المؤسسة العربية للنشر ، بيروت ، لبنان : 51

[8] - سورة النمل / 24

[9] - أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام ، ط1 ، دار الفكر اللبناني : 145

[10] - لسان العرب : دار صادر ، بيروت ، لبنان : مادة بعل

[11] - في طريق الميثولوجيا عند العرب : سليم الحوت ، ط3 ، دار النهار ، بيروت ، لبنان : 93

[12] - معجم الأعلام في الأساطير اليونانية والرومانية : أمين سلامة : دار الفكر العربي مصر : ط1 : 2

[13] - أشعار الهذليين : 174 و 175

[14] - لهب شمعة : باشلار: ترجمة مي عبد الكريم : دار أزمنة ، عمان ، الأردن : 13

[15] - الفينومينولوجيا عند هوسرل ، دراسة نقدية في التجديد الفلسفي المعاصر : سماح رافع محمد : دار الشؤون الثقافية العامة بغداد : 188

[16] - ملحمة جلجامش : ترجمة طه باقر : وزارة الثقافة والاعلام : بغداد ط1 : 1977: 110

[17] - ديوان علقمة : 64 و 65

[18] - دراسة في لغة الشعر (دراسة نقدية) : رجاء عيد : دار المعارف : الإسكندرية : 42

[19] - ينظر : المعجم الوسيط : المطبعة الاسلامية للطباعة والنشر : مادة أوى

[20] - الظليم ومواضع وروده في القصيدة الجاهلية : ماهر المبيضين ، مجلة المنارة للبحوث والدراسات ، مج 12 ، ع2 ، جامعة آل البيت 2006 : 395 و 396

DOI:10.18018/URUK/020-13/1493-1512

[21] - حدس اللحظة : غاستون باشلار ، ترجمة : رضا عزوز وعبد العزيز زمزم ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد : 21

[22] - شعر الطبيعة في الأدب العربي (سيد نوفل) : مطبعة مصر : 63

[23] - ديوان لبيد بن ربيعة : 23

[24] - الوجودية منزع إنساني : جان بول سارتر ، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان و دار محمد علي للنشر تونس : 69

[25] - آداب الضيافة في الشعر الجاهلي : حمدي محمود ناصر ، مجلة دراسات العلوم الانسانية، عمادة البحث العلمي الجامعة الأردنية : 818

[26] - ديوان طرفة : 8- 9

[27] - الفينومينولوجيا عند هوسرل دراسة نقدية في التجديد الفلسفي المعاصر : 199

[28] - الديوان : 51

[29] - القيم الجاهلية في الشعر الجاهلي (عبد الحسن حسن خلف) : المؤسسة العربية للدراسات والنشر : بيروت لبنان : 145

[30] - فلسفة الشعر الجاهلي دراسة في حركية الوعي الشعري العربي (هلال الجهاد) : مؤسسة المدى للنشر ، دمشق 2001 : 115

[31] - ديوان الشماخ : 30

[32] - ينظر: فلسفة الشعر الجاهلي دراسة في حركية الوعي الشعري العربي : 10

[33] - الأفق التأويلي الفينومينولوجي في تجربة المخضرمين الشعرية : أطروحة دكتوراه : د. حسن سعد : 231

[34] - غاستون باشلار مدارج العلم والأدب : سعيد بو خليط ، مجلة الكلمة : ع 72 : 2013

[35] - رسائل إخوان الصفا : دار بيروت ، لبنان ، مج2 ، 1957 : 44

[36] - منهاج البلغاء وسراج الأدباء : حازم القرطاجني ، تح : حبيب بن الخوجة ، مطبعة الكتب الشرقية ، تونس : 1966 : 15

[37] - رسائل الجاحظ : تح : محمد باسل عيون السود ، ج 3 الرسالة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان : 28

[38] - إنتاج الدلالة الأدبية (صلاح فضل) : 103

[39] - لغز عشتار الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة (فراس السواح) : دار علاء الدين ، ط6 ، دمشق 1996 : 63

[40] - المصدر نفسه : 64

[41] - ديوان لبيد بن ربيعة : 48

[42] - جماليات الشعر العربي دراسة في فلسفة الجمال في الوعي الشعري الجاهلي : 398

[43] - شاعرية أحلام اليقظة (غاستون باشلار) : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت لبنان ن ط1 ، 1991 : 131

[44] - جاستون باشلار جماليات الصورة (غادة الإمام) : التنوير للطباعة ، بيروت ، لبنان : 147

[45] - ديوان طرفة بن العبد بشرح الشنتمري : 136

[46] - ينظر: أنسنة الحيوان في الشعر الجاهلي : ماهر احمد المبيضين و عماد عبد الوهاب الضمور ، حوليات آداب عين شمس ، مج 43 ، 2015 : 236

[47] - فهم الفهم مدخل إلى الهيرمينوطيقا نظرية التأويل من إفلاطون إلى جادمير (عادل مصطفى) : 44

[48] - ديوان عبيد بن الأبرص : 99

[49] - نثار الأزهار في الليل والنهار ، لابن منظور : ط1 ، مطبعة الجوائب في قسطنطينية : 48

[50] - لسان العرب : لابن منظور : مادة حل

[51] - ينظر: التأويل الهيدغري وقراءة لهولدرين الإصغاء إلى صوت الوجود : فرفودة فاطمة ، مجلة الحوار الثقافي ، جامعة عبد الحميد بن باديس الجزائر: 21

[52] - ينظر: جماليات الشعر العربي دراسة في فلسفة الجمال في الوعي الشعري الجاهلي : 398

[53] - ديوان الأعشى الكبير: شرح وتعليق : محمد حسين وعبد الله مجيب الكلابي ، القاهرة المطبعة النموذجية : 95

[54] - التصور الفينو مينولوجي للغة قراءة في فلسفة اللغة عند " إدموند هوسرل " : اطروحة دكتوراه للباحث مخلوف سيد أحمد ، جامعة وهران الجزائر: 474

[55] - ديوان الشماخ بن ضرار: 72 و 73

[56] - جماليات الشعر العربي دراسة في فلسفة الجمال في الوعي الشعري الجاهلي : 398

[57] - الألوان ودلالتها في الحضارة الإسلامية : حنان عبد الفتاح محمد مطاوع ، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب ،ع 18 : 423

[58] - ينظر: القيم الجمالية في الشعر الجاهلي : عبد الحسن خلف : المؤسسة العربية للدراسات والنشر: بيروت لبنان : 68

[59] - القهر في الشعر الجاهلي : عدنان محمد أحمد و مازن أحمد عثمان ، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها ، جامعة تشرين سوريا ، ع 9 ، 2014 : 144

[60] - المفصل في تاريخ العرب (جواد علي) : ج8 : 423

[61] - الطبيعة في الشعر الجاهلي (نوري حمودي القيسي) : الشركة المتحدة للتوزيع ، سوريا : 66 .

DOI:10.18018/URUK/020-13/1493-1512

[62] - ديوان النابغة الجعدي : 21

[63] - شاعرية أحلام اليقظة (غاستون باشلار) : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط1 : 17

[64] - النجوم في الشعر العربي القديم حتى أواخر العصر الأموي : أطروحة دكتوراه : يحيى عبد الأمير شامي ، جامعة القديس يوسف ، بيروت : 156

[65] - ومن أجمل الشواهد في هذا المعنى قول أبي العلاء المعري : وسهيلٌ كوجنة الحب في اللون وقلب المحب في الخفقانِ

[66] - أشعار الهذليين : 1/ 19

[67] - ينظر : حدس اللحظة (غاستون باشلار) : دار الشؤون الثقافية ، العراق ، بغداد : 20

[68] - ديوان لبيد بن ربيعة : 21

[69] - الوجودية منزع إنساني (جان بول سارتر) : التنوير للطباعة والنشر والتوزيع و دار محمد علي للنشر ، بيروت : 73-74

[70] - مشكلة الحرية في الشعر الجاهلي : رسالة ماجستير ، للباحثة منى نبيه : جامعة آل البيت ، 2004 : 10

[71] - ديوان علقمة الفحل : 13-14

[72] - الديوان : 9

[73] - الديوان : 49

[74] - فلسفة الشعر الجاهلي دراسة في حركية الوعي الشعري العربي (هلال جهاد) : دار المدى ، دمشق ، سوريا 2001 : 30

[75] - أسطورة الثور الوحشي ، ميمية الأعشى دراسة فنية جمالية : عفاف بو قادوم : رسالة ماجستير ، جامعة العربي بن مهيدي : الجزائر : 42

[76] - أشعار الهذليين : 1/ 60

[77] - صورة الشعر الجاهلي رعوية أم اسطورية : حسن صالح و نصرت صالح : مجلة التربية والعلم جامعة الموصل ، مج 17 ، ع 2 ، سنة 2010

المصادر والمراجع :

أولا : الكتب

1- أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام ، ط1 ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، لبنان .

2- إنتاج الدلالة الأدبية : د. صلاح فضل ، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع ، ط1 ، القاهرة .

3- التجربة الشعرية ، دراسات ونماذج : مجموعة مؤلفين ، ترجمة : فضيلة يزل ، دار الشؤون الثقافية العامة ، سلسلة الموسوعة الثقافية 66 ، بغداد .

4- جاستون باشلار جماليات الصورة : غادة الإمام ، التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، ط 1 ، 2010

5- جماليات الشعر العربي دراسة في فلسفة الجمال في الوعي الشعري الجاهلي : سلسلة اطروحات الدكتوراه 65 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط 1 ، 2007

6- حدس اللحظة : غاستون باشلار ، ترجمة : رضا عزوز وعبد العزيز زمزم ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد .

7- دراسة في لغة الشعر (دراسة نقدية) : رجاء عيد ، دار المعارف ، الإسكندرية ، مصر .

8- ديوان الأعشى الكبير : شرح وتعليق : محمد حسين وعبد الله مجيب الكلابي ، المطبعة النموذجية ، القاهرة ، مصر .

9- ديوان الشماخ : حققه وشرحه : د. صلاح الدين الهادي ، دار المعارف ، مصر .

10- ديوان طرفة : شرح الأعلم الشنتمري ، تح : درية الخطيب ولطفي الصقال ، المؤسسة العربية ، بيروت ، لبنان .

11- ديوان عبيد بن الأبرص : شرح : أشرف أحمد عدرة ، دار الكتاب العربي ، ط1 ، 1994 .

12- ديوان علقمة الفحل : تح : أحمد صقر ، المطبعة المحمودية التجارية ، ط1 ، القاهرة 1935 .

13- ديوان لبيد بن ربيعة : اعتنى به : حميدو طمّاس ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

14- ديوان النابغة الجعدي : جمعه وحققه وشرحه : د. واضح الصمد ، دار صادر ، بيروت ، ط 1 ، 1998 .

15- رسائل الجاحظ : عمرو بن بح الجاحظ ، تحقيق : محمد باسل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان

16- رسائل إخوان الصفا : دار بيروت ، لبنان ، 1957 .

17- شرح أشعار الهذليين : صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري ، تح : عبدالستار أحمد فراج ، مكتبة دار العروبة ، مطبعة المدني ، القاهرة .

18- شاعرية أحلام اليقظة : غاستون باشلار ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، ط1 ، بيروت ، لبنان .

19- شعر الطبيعة في الأدب العربي : سيد نوفل : مطبعة مصر ، ط 1 ، القاهرة 1945 .

DOI:10.18018/URUK/020-13/1493-1512

20- صرح الفلسفة ، نظرة لحياة الإنسان ومصيره : وول ديو رانت ، ترجمة : أنور الحمادي ، نسخة إلكترونية .
21- الطبيعة في الشعر الجاهلي : نوري حمودي القيسي ، الشركة المتحدة للتوزيع ، سوريا
22- فلسفة الشعر الجاهلي دراسة في حركية الوعي الشعري العربي : هلال الجهاد ، مؤسسة المدى للنشر ، دمشق ، سوريا 2001 .
23- فهم الفهم مدخل إلى الهيرمينوطيقا ، نظرية التأويل من إفلاطون إلى جادمير: عادل مصطفى ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 1 ، 2007 .
24- في طريق الميثولوجيا عند العرب : سليم الحوت ، ط3 ، دار النهار ، بيروت ، لبنان
25- الفينومينولوجيا عند هوسرل ، دراسة نقدية في التجديد الفلسفي المعاصر: سماح رافع محمد : دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ، ط 1 ، 1991 .
26- القيم الجمالية في الشعر الجاهلي : عبد الحسن خلف : المؤسسة العربية للنشر ، بيروت ، لبنان .
27- لسان العرب : ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .
28- لغز عشتار الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة : فراس السواح ، دار علاء الدين ط6 ، دمشق ، 1996 .
29- لهب شمعة : غاستون باشلار، ترجمة : مي عبد الكريم ، دار أزمنة ، عمان ، الأردن .
30- معجم الأعلام في الأساطير اليونانية والرومانية : أمين سلامة ، دار الفكر العربي ، ط1 ، مصر .
31- المعجم الوسيط : ابراهيم مصطفى وآخرون ، المطبعة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة .
32- المفصل في تاريخ العرب : جواد علي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
33- مفهوم المكان والزمن في فلسفة الظاهر والحقيقة ، دراسة في ميتافيزيقا برادلي : د. محمد توفيق الضوي ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، 2003 .
34- ملحمة جلجامش : ترجمة : طه باقر ، وزارة الثقافة والإعلام ، ط1، بغداد ، 1977 .
35- منهاج البلغاء وسراج الأدباء : حازم القرطاجني : تح : حبيب بن الخوجة ، مطبعة الكتب الشرقية ، تونس 15 20 .
36- نثار الأزهار في الليل والنهار: ابن منظور ، ط1 ، مطبعة الجوائب في قسطنطينية ، 1298 .
37- النظرية التأويلية عند ريكور : حسن بن حسن ، دار تينمل للطباعة والنشر ، مراكش ، المغرب ، ط 1 ، 1992 .
38- الوجودية منزع إنساني : جان بول سارتر ، تعريب : محمد نجيب عبدالمولى ، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط 1 2012 .

ثانيا : الرسائل والأطاريح

1- أسطورة الثور الوحشي ، ميمية الأعشى دراسة فنية جمالية : عفاف بو قادوم ، سالة ماجستير: جامعة العربي بن مهيدي ، الجزائر .
2- الأفق التأويلي الفينومينولوجي في تجربة المخضرمين الشعرية : اطروحة دكتوراه ، د. حسن سعد ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة البصرة ، 2018 .
3- التصور الفينو مينولوجي للغة قراءة في فلسفة اللغة عند " إدموند هوسرل " : اطروحة دكتوراه للباحث مخلوف سيد أحمد ، جامعة وهران ، الجزائر.
4- مشكلة الحرية في الشعر الجاهلي : رسالة ماجستير للباحثة منى نبيه ، جامعة آل البيت : 2004 .
5- النجوم في الشعر العربي القديم حتى أواخر العصر الأموي : اطروحة دكتوراه : يحيى عبد الأمير شامي ، جامعة القديس يوسف ، بيروت .

ثالثا : الدوريات

1- آداب الضيافة في الشعر الجاهلي : حمدي محمود ناصر ، مجلة دراسات العلوم الانسانية ، عمادة البحث العلمي الجامعة الأردنية .

DOI:10.18018/URUK/020-13/1493-1512

2- أنسنة الحيوان في الشعر الجاهلي : ماهر احمد المبيضين وعماد عبد الوهاب الضمور ، حوليات آداب عين شمس ، مج 43 ، 2015 .
3- الألوان ودلالتها في الحضارة الإسلامية : حنان عبد الفتاح محمد مطاوع ، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب ، ع 18 .
4- التأويل الهيدغري وقراءة لهولدرين الإصغاء إلى صوت الوجود ، فرفودة فاطمة ، مجلة الحوار الثقافي الجزائر ، عدد خريف وشتاء 2016 .
5- صورة الشعر الجاهلي رعوية أم اسطورية : حسن صالح و نصرت صالح ، مجلة التربية والعلم ، جامعة الموصل ، مج 17 ، ع 2 ، 2010 .
6- الظليم ومواضع وروده في القصيدة الجاهلية : ماهر المبيضين ، مجلة المنارة للبحوث والدراسات ، مج 12 ، ع2 ، جامعة آل البيت 2006 .
7-غاستون باشلار مدارج العلم والأدب : سعيد بو خليط ، مجلة الكلمة ، ع 72 ، 2013 .
8- القهر في الشعر الجاهلي : عدنان محمد أحمد ومازن أحمد عثمان ، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها ، جامعة تشرين سوريا ، ع 9 ، 2014 .
9- النظرية الظاهراتية ، المقولات والتوظيف الجمالي : د. سلام كاظم الأوسي ، مجلة اللغة العربية وآدابها ، العدد 12 .

abstract

As a result of the varied consciousness of poets in their view of existential phenomena, and the disparity of these phenomena in their representation within human consciousness, some of them constitute topics that provoke the self and be a reason to prove it to search for what it is and the extent of its reflection on his system of consciousness. Among the ignorant people - according to Ibn Salam's classification - artistic paintings that varied according to the difference in the vision of each poet towards it, and it was linked to the feeling that represents the reflection of the self on life, in an interpretive view adopted by the phenomenological philosophy, the poets not only talked about these phenomena from the outside, but they tried to surround all their belongings And the feelings associated with it that call upon the self to knock on the doors of poetry, so this study came to read what can be reflected in the newspaper of human awareness among these poets.